**المحاضرة الثالثة : كتب اللغات والعامي والمعرّب**

**تمهيد :**

عاش العرب في جاهليتهم قبائل فاختلفت القبائل في مظاهر حياتها ومنها لغاتها ولكنه اختلاف لم يؤدِّ إلى الانفصال التام ، وإنما هو اختلاف في بعض المفردات اللغوية وطرق اللفظ بها ، وتأليفها في عبارات والمظاهر التي تصاحب التركيب مع انحدار هذه اللغات من أم واحدة ، وسمّى لغويو العرب هذه اللغات الإقليمية أو القبيلة : اللغات واللهجات ، وأما المفردات الأجنبية فسموها الدخيل والمُعَرَّب .

ثار البحث عن لغات القبائل والمعرّب منذ زمن قديم ، بل إنه من أقدم البحوث اللغوية عند العرب لأنه من الأبحاث الدائرة حول القرآن مباشرة ، فكان المنطلق الأول ليتوسع البحث ويشمل اللغة ككل فظهرت مؤلفات تحمل العناوين الآتية :

**1- لغات القرآن الكريم:**

لعلّ هذا الفن أول الفنون اللغوية ظهورا مع غريب القرآن فقد غرست بذورهما الأولى على يد ابن عباس في رسالة بعنوان : كتاب اللغات في القرآن ، والترتيب المتبع في الكتاب هو ترتيب المصحف ، إذ يستخرج من كل سورة ما فيها من لغات ، بترتيبها في المصحف أمّا طريقة العلاج فتقديم الآية التي فيها اللفظ ثم تفسيره ثم التنبيه على لغته ، وليس في الكتاب أي شاهد وتلقّف المفسّرون واللغويون هذا التصنيف من ابن عباس وأقاموا على مثاله بعض دراساتهم فألفوا مجموعة كبيرة من الكتب حاملة لهذا العنوان : لغات القرآن أو اللغات في القرآن.

**2- لغات القبائل :**

لقد توسع البحث في اللغات وانتقل من القرآن الكريم إلى اللغات ككل ولعلّ الاختلاف في اللغات لا يخرج عما حدده ابن فارس حيث يقول : « اختلاف لغات القبائل من وجوه » ، وذكر ما يقارب خمسة عشر اختلافا ويمكن اجمالها في موضوعات : الإبدال الصوتي ( حركات ، حروف ) ، والهمز واللين والقلب المكاني والحذف والإثبات والإمالة والتفخيم والتذكير والتأنيث والإدغام والجمع وغيرهما.

وأول من ينسب إليه كتاب في اللغات هو يونس بن حبيب البصري ( ت 182ه) : ثم اللغات لأبي زكريا يحي بن زياد بن عبد الله الديلمي المعروف بالفراء ( ت 207ه) ، واللغات لأبي عبيدة بن معمر بن المثنى ( ت 210ه) ، واللغات لأبي زيد الأنصاري ( ت 215ه) ، والأصمعي ( ت 216ه) وغيرهما.

**3- المعرّب :**

لقد بدأ متأخرا في العربية ولكن نجد أبو عبيد القاسم بن سلام قد سمّى فصله هذا : ( ما دخل من غير لغات العرب في العربية) ، ونجد ابن دريد وابن سيده قد خصوا كتبهم بأبواب قصيرة حول المعرّب.

**4- المعاجم المتعددة اللغة :**

كان انتشار اللغة العربية في البلاد التي فتحها المسلمون سببا في تدهور كثير من اللغات مثل العبرية والسريانسة ، فألّف العلماء معاجم تجمع بين العربية وبينها لصيانتها وليفهمها الناس الذين غلبت على ألسنتهم العربية وأهم معجم سمعنا به هو كتاب : بربهلول النصف الثاني من القرن الرابع للهجري للسريانية والعربية.

شمل التأليف في الرسائل اللغوية أغلب الموضوعات التي تمسّ حياة العرب ، والمطلع على تلك الرسائل تصيبه بالدهشة من كثرتها وتعددّها ، وهي دليل جليّ على عناية العرب بجمع مفردات لغتهم فكلّ ميدان من ميادين حياتهم تناولوه بالتأليف في جمع مفرداته في رسالة مستقلّة أو مع عدد من الموضوعات ومن بين هذه الرسائل نذكر :

**أ- كتب الحيوان :**

* الإبل والخيل والشاء والوحوش الأصمعي ( 123ه – 216ه).
* الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام الصاحبي التاجي ( ت بعد 697ه).

**ب-كتب البلدان :**

* جبال العرب وما قيل فيها من الشعر خلف الأحمر (ت 180ه)
* منازل العرب وحدودها أبو الوزير عمر ( ت 186ه).

**ج- كتب الصفات :**

* كتاب الصفات أبو خيرة الأعرابي
* الغريب المصنف بن معن الكوفي المعاصر للخليل ( ت 175ه).

اعتنت هذه الرسائل اللغوية ما يعتني ب بمفردات موضوع لغويّ يخصّ أحد الحقول الدلالية ، ومنها ما اختصّ بجمع الكلمات الخاصّة بظاهرة لغوية كالترادف ولاشتراك وغيرهما دون النظر إلى معانيها ، ولقد تفاوتت في السعة والضيق ، فمنها ما يشمل أغلب مفردات اللغة ومنها ما يحوي مفردات عدد من الموضوعات.